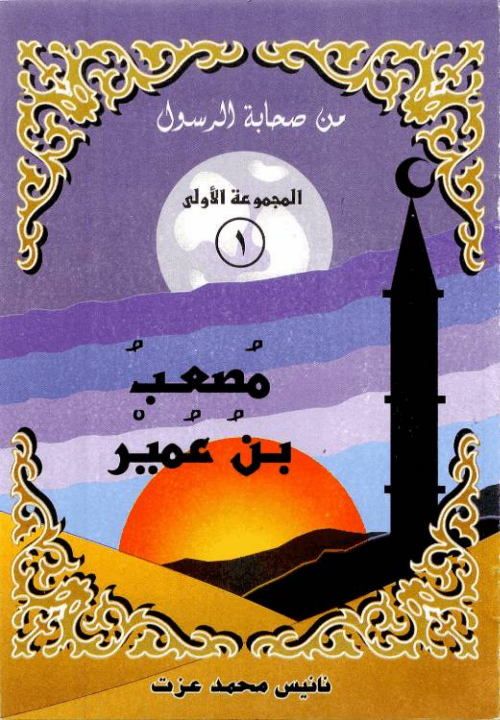

من صحابة الرسول
المجموعة الأولى
١
مُصْعَبُ
بْنُ عُمَيْر
نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١

مُصعبُ بنُ عُميْر

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

مُصعبُ بنُ عُميْر

وقفَ حُسامٌ ينظــر إلى صورتِـهِ فــى المِـرآة ، ويتـأمَّلُ ملابِسَـهُ الجديـدةَ فـى سعادةٍ وسُــرور ، فاليومَ أوَّلُ أيَّامِ عيدِ الفِطر ، وهــو يرتَـدى بذلتَـه الجَديدةَ الَّتى اشْتَراها له والِدُه . وسوف يَحضُــر عَمُّه وابنَتا عَمِّه ليذْهَبوا جميعًا فى رِحلَةٍ نيلِيَّــةٍ إلى القَناطِرِ الخَيْرِيَّة .

ودُقَّ جـرسُ البـابِ فجـرى لِيفتَحَــه ، وقــالَ مُهلِّلا : جـاءَ عمِّـى يـا أبـى ، ومعـه بنتـاهُ هُـدَى وسَميحَة . أسرِعْ من فَضلِكَ يا أبى حتَّى نذهبَ ونتفرَّجَ بزِيارَةِ الحَدائقِ فى القَناطِرِ .

قال عَمُّه : كلَّ سنَةٍ وأنت طيِّبٌ يا حُسام .
ما هذه المَلابسُ الجَميلَة ! أهيَ ملابسُ العيد ؟
قال حُسامٌ فَرِحا : نعم يا عَمّى هى مَلابسُ العيد ، وقد اشْتَراها لى أَبى . أأعجبَتْكَ يا عَمّى ؟
قال عَمُّه : نعم هى جَميلَةٌ جدًّا ، ولكن يَجبُ ألاّ تكونَ هى كُلَّ هَمِّك فى الحَياة . ألَمْ تعرِفْ قِصَّةَ مُصعَبِ بنِ عُمَيْرٍ يا حُسام ؟
قالَ حُسام : سَمعتُ أنَّهُ أحدُ المُسلِمينَ الأَوائِل ، ولكن ما هِيَ قِصَّتُهُ يا عَمّى ؟
قال عَمُّه : سوفَ أحْكيها لكم ونَحنُ فى المَرْكَبِ فى طَريقِنا إلى القَناطر .

* * *

وجَلَسوا جَميعًا فى المركَبِ الشِّراعِيِّ

يَتسامَرونَ ويَضحكونَ بينَ وَقتٍ وآخَر ، فكلُّهم سُعداءُ بمُناسَبَةِ العيد ، إذْ قالَ حُسام :

ـ احكِ لنا قِصَّةَ « مُصعَبِ بنِ عُمَيْرٍ » يا عَمّى ، كما وَعَدْتَ .

قالَ والِدُ حُسام : إنّك لا تَمَلُّ القِصَصَ أبدًا يا حُسام .

فضحِكوا جَميعًا ، وقال عَمُّه :

ـ إنَّ قِصَّةَ « مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ » قِصَّةٌ مُفيدَة ، ومَليئَةٌ بالمَواقِفِ الّتى تدُلُّ على الإيمان العَميق ، والتَّضحِيَةِ النَّبيلَة . وسوفَ تُعجِبُكم جَميعًا فاسْمَعوا :

نشأَ « مُصعَبُ بنُ عُمَيْرٍ » فى رُبوعِ مَكَّةَ المُكرَّمَة ، وكانَ من أكثرِ فِتيانِها جَمالاً وبَهاءَ ،

وكان قُرَّةَ أعْيُنِ والِدَيْه ، مُنعَّمًا مُدلَّلا ، لا يَلبَسُ إلاّ الحَرير ، ولا يَتعطَّرُ إلاّ بأَفخَرِ العُطور .

سِمعَ مُصعَبٌ بأمرِ النّبىِّ مُحمَّدٍ صلّى اللّهُ عليه وسَلّم ، واسْتَمَعَ إلى آياتٍ من القُرآن الكَريم ، فكانَتِ اللّحظَةَ المَوعودَة .. لَحظَةَ دُخولِ الإيمانِ فى قَلبه . ففى تِلكَ اللّيلَةِ أعلَنَ إسْلامَهُ أمامَ النّبيّ ، ولكِنّه كَتمَه عن أَهلِ مكّةَ جَميعا ، لا خَوفًا مِنهم ، ولكن خَوفًا من أُمِّه ، فقد كانَت أُمُّهُ « خَناسُ بنتُ مالِك » قويَّةً شَديدَة ، يَهابُها الرِّجالُ والنِّساء .

قالت سَميحَة : يا ستّارُ يا ربّ ! أَتوجَدُ امْرأَةٌ فى الوُجودِ على شاكِلَتِها ؟

قالَ أبوها : اسْمَعى قِصَّتَها أوّلا ، ثم احْكُمى

علَيْها بما تَرَيْن .

* * *

افْتَضحَ أمرُ مُصعَب ، وعُرف إسْلامُه عِندَما رآهُ « عُثمانُ بنُ طَلحةَ » يدخلُ بيتَ الأرْقَم ، ويُصلّى صَلاةَ مُحمَّد ، فلم يَلبَثْ أن نقلَ خبرَ إسْلامِه إلى أُمِّه ، فجُنَّ جنونُها وهاجَتْ وماجَتْ وهمَّت بأنْ تَصفَعَهُ علَى وَجهِه لَوْلا حُبُّها إيّاه ، ولَوْلا قلبُ الأُمِّ فى صَدرِها الّذى منَعَها دونَ ذلِك .

فما كانَ مِنها إلاّ أن حَبسَتْه فى حُجرَةٍ فى مَنزِلها وشَدَّدَتْ عليهِ الحِراسَة ، ولكنَّ مُصعَبًا اسْتَطاعَ أن يُغافِلَ حُرّاسَهُ ويَهرُبَ إلَى الحَبَشة . وبعد فَترةٍ عادَ إلى مَكّة ، وأرادتْ أمُّه أن تُجدِّدَ حَبسَه ، لَولا أن أقْسَم لَها لِيَقْتُلَنَّ كلَّ من تُكلِّفُه

بِحِراسَتِه . وشعرتْ أُمُّه بصِدقِ عَزمِه فتركَتْه لِحالِه ، ولكِنَّها حرَّمتْ عَليه مالَها ومأكَلَها .

وعرَفَ مُصعَبٌ حَياةَ الزُّهدِ والتَّقشُّفِ والخُشونَة ، بعدَ حَياةِ النَّعيمِ والخُيَلاء ، فلَبس أخشنَ أنْواعِ الأَقمِشَة ، بعدَ أن كانَ لا يَلبَسُ إلاّ أفْخَرَ أنواعِ الحَرِير ، ولم يفعَلْ ذَلك كارِهًا أو مُتضَرِّرا بل فعلَهُ عن نَفسٍ راضِيَةٍ سَعيدَة . وأصبحَ لا يُرى إلاّ في أخْشَنِ المَلابِس ، يأكُلُ يَومًا ويَجوعُ يَوْما ، حتّى إنَّ الرَّسولَ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم رآهُ يَومًا فقال : (لقد رأيتُ مُصعَبًا هَذا وما بمَكّةَ فَتًى أنْعمُ عِندَ أبَوَيهِ مِنه ، ثمّ تَركَ ذلكَ كلّه حُبًّا لِلّهِ ورَسولِه) .

وهاجرَ مُصعَبٌ مَرّةً أُخْرَى إلَى الحَبَشَة ، معَ

الصَّحابَةِ الَّذين أمرَهُم الرَّسُول بالهِجْرَة ، ثم عادَ بعدَ ذلِكَ ليُمارِسَ أعظمَ عَملٍ قامَ به في حَياتِه ، فقد كان مُصعَبٌ أوَّلَ سَفيرٍ للإسْلام .

إذْ جاءَ عندَ العَقبَةِ اثْنا عَشَر رَجُلا منَ المَدينة ، واسْتَمعوا إلى الرَّسولِ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم وآمَنوا به . فما كانَ منَ الرَّسولِ إلاّ أن بعَثَ مَعهُم مُصعَبًا ليُعلّمَهم تَعاليمَ دينِهم ، على الرُّغمِ من أنّه لَيس أكبرَ الصَّحابَةِ سِنّا ، ولا أفضلَهُم مَركَزا .

وقد كانَ « لِمُصعَبِ الخَير » — كما كانَ يُسمّيهِ الرَّسول — صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم — الفضلُ في انْتِشارِ الإسْلامِ في المَدينَة ، فقوَّةُ إيمانِه ، ورَجاحَةُ عَقلِه ، وقُدرَتُه الكَبيرَةُ على

الإِقْناع ، كانَ لها أكبرُ الأَثرِ فى نَجاحِ مُهِمَّتِه .

نزلَ مُصعَبٌ فى المَدينَةِ فى ضِيافَةِ أسعَدَ بنِ زُرارَة ، فكانا يَطوفانِ على كُلِّ القَبائِلِ والأحْياءِ لنَشرِ الدَّعوة ، وتَعليمِ النَاسِ تَعاليمَ دينِهم الجَديد .

وفى يومٍ وهو يَعظُ النّاس ، فاجَأهُ سيد بنى عبدِ الأشْهَل — أُسَيْدُ بنُ حُضَير — وكانَ الشَّرَرُ يَتطايرُ مِن عَينَيه ، وفى يَدهِ حَربَتُه ، مُتوعِّدًا مُصعَبًا وزَرارَة ، وقالَ لهما غاضِبا : ما الّذى جاءَ بكُما عِندَنا ؟ ارْحَلا وإلاّ قَضيتُ عَليكُما . فخافَ الجَميعُ من أُسَيد إلاّ مُصعَبا ، فقد لَقِيَهُ مُبتَسِما مُطمَئِنًا وقالَ له :

— أوَلا تَجلسُ فتَسمَع ، فإنْ أعجَبكَ قَولُنا

قَبلت ، وإنْ لم يُعجبْكَ نرحَلْ عَنْك .

اقْتَنع أُسيْدٌ بكَلامِ مُصعَب ، وجلسَ ليَستَمِعَ إلى القُرآنِ وإلَى تَعاليمِ الدّينِ الجَديد ، وسَرعانَ ما انْقلبَ الغَضبُ إلى تَهلّل ، ولانَت سَريرتُه ، وقالَ لـمُصعَب : ماذا أفعلُ لأدخُلَ فى هَذا الدّين ؟

أجابَه مُصعَب : تَتطَهّرُ وتَشهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه ، وأنّ مُحمَّدًا رَسولُ اللّه .

ومِثلما آمنَ أُسَيْدٌ آمَن كَثيرٌ من السّادَةِ والعُظماء ، كما تَلاَ ذلِكَ بالطّبعِ إسْلامُ الكَثيرينَ من أهْلِ المَدينَة .

لقد نَجح مُصعَبٌ فى مُهمَّتِهِ نَجاحًا باهرا .

فبتَواضُعِهِ ورَجاحَةِ عَقلِه وقُوّةِ إيمانه ، اسْتَطاع أن يَنشُرَ الإسلامَ فى المَدينَة .

قال حُسام : ما أعجبَ هَـذا ! شَـخصٌ واحِـدٌ يَنجَحُ فيما لا يَستَطيعُه عَشَراتُ الرِّجال !

قالَ أبوه : نَعم . يَنجَـحُ إن كـانَ لـه مِثْـلُ إيمـانِ مُصعَب .

واستمَرَّ عَمُّه :

وفي العامِ التّالي عادَ منَ المَدينَةِ إلَى العقَبةِ بمَكَّة ، ومعه اثْنان وسَبعونَ رَجُلاً ليُبـايعوا الرَّسـولَ صلّـى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم على الإسْلامِ ونُصرَةِ الدّين .

لقدْ فَتح مُصْعَبٌ أبْوابَ المَدينَةِ على مِصْراعَيْها أمامَ الرَّسول ، وأصْبحتْ المَدينَةُ هي الدّارَ الآمِنَةَ الّتي يأمَنُ فيها الصَّحابةُ والرَّسولُ علـى دينِهـم . إلى أنْ هاجَرَ الرَّسولُ صلَّى اللّهُ عَليــهِ وسَـلَّم إلى المَدينَة ، وانتَشَر فيها الإسْلام .

* * *

وشارك مُصعَبٌ فى الغَزَواتِ معَ الرَّسولِ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم .. شاركَ فى غَزوَةِ بَدر ، ثمَّ فى غَزوَةِ أُحُد ، وكانَ لـه مَوقِفٌ يدُلُّ على شَجاعَةٍ وإيمان لا نِهايَةَ لَهُما ، فعِندما خالَفَ الرُّمَاةُ أمرَ النَّبيِّ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم وتَركوا مَوقِعَهم من الجبَل ، اسْتَغَلَّ الكُفَّارُ تِلك الفُرصَةَ وانْقَضّوا علَى المُسلِمين ، وكان هَدفُهم قتلَ النَّبيِّ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ، حتى يَقضوا على الدّينِ فى مَهدِه .

عَرف مُصعَبٌ غَرضَ الكُفّار ، فأرادَ أن يَشغَلَهم عن النَّبيِّ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ، فأمسكَ اللِّواءَ فى يَدِهِ اليُمنَى والسَّيفَ فى يَدهِ الأُخرَى ، ودخلَ فى صُفوفِ الأعْداءِ لا يُبالى

شَيئا سِوَى لَفتِ أنْظارِ الكُفّارِ إلَيه ، وحَجْبِها عَنِ الرَّسولِ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم .

وقدْ كانَ له ما أَراد ، فضَربَ «ابنُ قُميْئَةَ» يَدَهُ اليُمنَى فَقَطَعَها ، فحملَ اللّواءَ بيَدِهِ اليُسرَى فقطَعَها أيْضا ، فحمَلَ اللّواءَ بَينَ عَضُدَيه ، حتّى أَصابَهُ رُمحٌ فأَرْداهُ قَتيلا .

ولما انتهتِ المَعركَةُ جاءَ الرَّسولُ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّمَ وأصحابُه ، يَتفقّدونَ أرضَ المَعركَة . فعِندما رأى الرَّسولُ مُصعَبًا سالَتْ دُموعُه غَزيرَة ، وقال : (مِنَ المُؤمنِين رِجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللّهَ عَلَيه).

ولم يجدوا كفَنا لمُصْعبٍ سِوى قِطعةِ قُماشٍ

صَغيرة ، إذا غَطَّوْا بها رَأسَهُ تعرَّتْ رِجْلاه ، وإذا غَطَّوا بها رِجلَيْهِ تَعرَّى رَأسُه ، فقال لهم الرَّسولُ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسَلَّم : غَطّوا رأسَه ، واجْعلوا علَى رِجْلَيهِ بَعضَ الحَشائشِ .

ثمَّ نَظرَ إلَيه فى أَسًى وقال : لقد كنتَ فى مكَّةَ ما أبَهى مِنكَ ولا أرقَّ حُلَّةً مِنك ، ثمَّ ها أنتَ ذا شَعِثُ الرَّأسِ فى بُردَة .

* * *

نظرَ حُسامٌ إلى بَدلَتِهِ الجَديدَةِ فى تَعجُّبٍ وانْدِهاش ، وأحَسَّ العَمُّ بِما يَدورُ فى رَأسِ الغُلام ، فقالَ له :

– إنَّ لُبسَ المَلابسِ الجديدَةِ ليس مَكروهًا أو مَذموما ، ولكنْ يَجبُ ألاَّ تَغُرَّنا تِلكَ المَلابسُ

أو نَشعُرَ بأهَمِّيَتِها ، فليستْ هِى الّتى تُضْفى عَلينا الأهَمِّيَّة ، بل عملُنا وسُلوكُنا وقُوَّةُ إيمانِنا وشَخصيَّتُنا .

* * *

فَرِح حُسامٌ بقِصَّةِ مُصعَبِ الخَير ـ مُصْعَبِ بنِ عُمَير ـ وقال لعَمِّه : لقد وَعيْتُ قِصَّتَك ، واسْتَفدْتُ مِنها كَثيرا يا عَمّى .

وقالتْ هُدَى وسَميحَة : ونحنُ أيضًا وَعَيْناها ، واسْتَفدْنا منها .

قالَ أبوهُما : واظِبوا جَميعًا على القِراءة ، ففيها كلُّ المُتعَة ، وفيها كلُّ الفائِدَة .